من وحي كليلة ودمنة

المؤسسة
العربية
للدراسات
والنشر



٢٥

اعداد : راجي عنايت

رسوم : بهجت عثمان

المؤسسة
العربية
للدراسات
والنشر

من وحي كليلة ودمنة

٢٥

بقرة أمين

اعداد: راجي عنايت
رسوم: بهجت عثمان
مسح ضوئي واعداد: احمد هاشم الزبيدي
٢٠١٦م

المؤسسة
العربية
للدراسات
والنشر

الطبعة الاولى

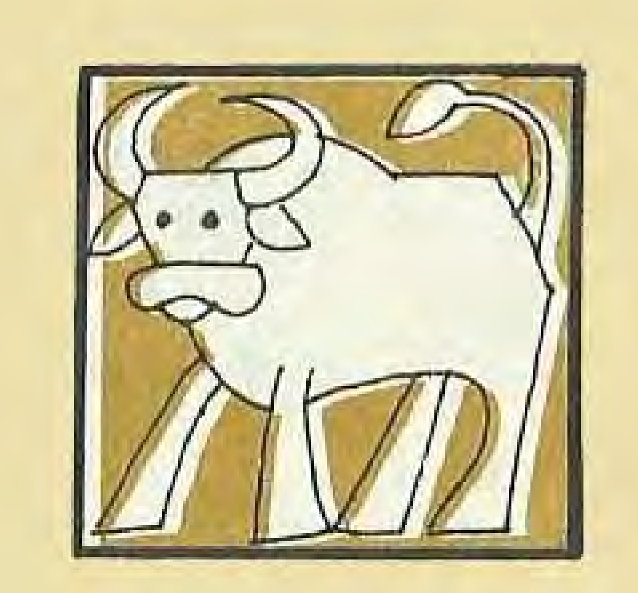
١٩٨١



المؤسسة العربية
للدراسات والنشر

بناية برج الكارلتون - ساقية الجنزير - ت ٨٠٧٩٠٠/١
برقياً: موكيالي بيروت - ص.ب : ١١/٥٤٦٠ بيروت


بقرة
أمين



جلسَ التاجرُ أمين على الأريكةِ الخشبيةِ أمامَ مَتجره، يصبُّ الشايَ لضيفِه الشيخِ عبدِالله، ويقولُ له «هذه زيارةٌ أعتزُّ بها يا مولانا الشّيخ. ياليتَهاتتكررُ كثيراً..». ضَحِكَ الشيخُ عبدُالله قائلا «أنت هكذا دائماً يا سيدَ أمين.. تُلحُّ طالباً زيارتَك. ونحن لا نَحظى منك في العامِ الكامل.. بما لا يتجاوزُ الزيارةَ الواحدة..» ابتسمَ التاجرُ أمين،وهو يشيرُ بيدِه الى حركةِ العملِ النّشيطة داخلَ متجرِه، والى عمّالِ المتجرِ وهم يَـرُوحون ويَجيئون في حماسٍ وسُرعةٍ لتلبيـةِ طلباتِ الـزبائن، وأكيـاسُ الحبوبِ والغلالِ تَملأُ ما بقيَ من فَراغِ المكانِ، ثم قال أمين لصاحبِه «الأمرُ كما تَـرى يا عـزيزَنـا.. لو كـان الأمرُ مَتـروكاً لي، لَقضيت معـك أطـولَ

الأوقات. . . استمعُ إلى أحاديثِك الطَريفة، ونوادرِك الغَريبة. . لكنْ ماذا أَفعل، وحركةُ العملِ في المتجرِ لا تهدأُ منذ الصباحِ وحتّى المَساء؟.».

قال الشيخُ عبدُالله «بارِك اللهُ لك في تجارتِك أكثرَ وأكثرَ يا سيد أمين. . فأنت بخُلُقِك الحميدِ وبعفّةِ يدِك، وبقبولِك أقلَّ الرّبح، تستحقُّ بجدارةٍ ما يُنْعِمُ اللهُ به عليك من الرَّزق. .».

لم يكن هذا هو رأيَ الشيخِ عبدِالله وحدَه، فقد كان أهلُ السّوقِ جميعاً. كبيرُهم وصغيرُهم. . يُشِيدون بأخلاقِ التاجرِ أمين، وقناعتِه بالربحِ القَليل، مما جعَل الناسَ جميعاً يُقْبلون على متجَرِه إقبالاً مُتزايداً، يَجْذِبُهم السّعرُ المُنْخفض، وتُسْعِدُهم المعاملةُ الرقيقةُ التي يَجدونها عندَ أمين. .

كان هذا هو رأيَ جميعِ من بالسّوق. . فيما عدا ذلك التاجرَ الحقود. . غَريب!.

ومع أنّ التاجر غريباً كان يبيعُ ويشتري الماشية، ومع أنّ نجاحَ أمين في تجارتِه لا يَضيرُه في شَيء، إلاّ أن غريباً كان يَغتاظُ كُلّما سمعَ مديحَ أهلِ السوقِ في أمين، وكان يقولُ لأخيه عجيب الذي لم يكن يحملُ لأمينٍ نفسَ الحِقد: «أنا لا أفهمُ سرَّ إعجاب أهلِ السوقِ بذلك التاجر الذي يُدْعى

أميناً. . لقد سَمعت اليومَ أنّهم ينوون اختيارَه نقيباً لتجّارِ السوقِ وإماماً لهم. . فهل نقبلُ هذا. . ؟». وكان عجيبٌ يقولُ: «وما الخطأُ في ذلك؟. . الرجلُ سُمعتُه طَيّبة. . منذ عَمِلَ في التجارةِ لم نَسمعْ عنه ما يَشِين. . ولم يحدُثْ أن نَشَبَ بينَه وبين أحد من تجّارِ السوقِ خِلاف. . ».

أشار غريبٌ إشارةً تفيدُ ضِيقهَ بكلامِ أخيه، وغرقَ في تفكيرٍ عميق ثم قال: «أنا لن أقبل ذلك. . لا أرضَى بهذا الرجلِ نقيباً علينا. . »، فسألَه أخوه: «ولكن ماذا ستفعل. . والكلُّ يَقْبلُ به نقيباً. . ». هزّ غريبٌ رأسه، وهو يَعَضُّ على نواجِذه، ثم ارتسمت ابتسامةٌ خبيثةٌ على فمِه وهو يقول: «غداً سترى ماذا أستطيع أن أفعل. . غداً سأكشفُ للناسِ عن حقيقتِه التي يُغطّيها بابتسامتِه الرّقيقة!. ».



في اليومِ التالي، توجَّه غريبُ إلى متجر أمين، فوجدَه جالساً على

أريكتِه، فاقتربَ منه قائلاً: «صباحَ الخيرِ يا نقيبَ التّجار. .»، هبَّ أمين ناهضاً يرحّبُ به مُتعلثماً من فرطِ الخَجل: «صباحَ الخيرِ يا سيّدي. . استغفرُ الله. . أنا لا أزيدُ على كوني أحدَ تجّارِ هذا السوق. . لا نقيبَ ولا خلافَه. .» فقال غَريب: «كفاكَ تواضُعاً يا رجل. . أنت تستحقُّ ذلك وأكثرَ منه. .».

أفسحَ أمينُ لغريبٍ مكاناً الى جانبه، وصفّق بيديه يطلبُ له الشايَ، فقال غريب: «لا دَاعي للضيافةِ، لا أريدُ أن أُضيعَ وقتَك الثّمين. . باختصارٍ لقد جئتك في تِجارة، أريدُ شراءَ بعضِ الحبوب والغلالِ التي أحتاجُها لأبقاري وخِرافي. .»، قال أمين بحَماس: «المتجرُ بأكملِه تحتَ أمرِك. .»، فاستطرد أمين: «كنت أتمنّى أن أدفعَ لك ثمن البضاعة فوراً. . لكنّ المَال سيتوفّرُ لديَّ بعدَ سُوقِ الخميس، عندَما أنتهي من بيعِ ماشيتي فيه».

قال أمينُ مبتسماً: «المتجرُ أمامكَ بكلِّ ما فيه. . خُذ ما تشاءُ من الحبوب والغلالِ ولا تدفعْ شيئاً، إلّا بعدَ انتهاءِ سوقِ الخميس. . يا أخي يجبُ علينا نحنُ التجّارَ أن يكونَ الواحدُ منّا نعمَ العَوْنِ لأخيه. .»، ثم صفّق أمينُ بيديه، فجاءَ أحدُ العُمال، وقال له: «دَعِ السيد التاجرَ يختارُ

ما يشاءُ من المَتجر. . ثم انْقُلوا ذلك الى المكانِ الذي يريدُ أن ينقلَه إليه».

اصطنع غريبٌ التأثّرَ الشّديد،وقال بصوتٍ متهدِّج: «حقاً!. لقد تَأكدّت الآن بنفسِي من سرِّ السُّمعة الطيّبةِ التي تتمتعُ بها.. لكن اسمحْ لي أن أكتب لك إيصالاً بالمبلغ المطلوب، تحددُ فيه ثَمن ما أخذت منك، ويكون سنداً في حوزتِك..».

أسكتَه أمين بإشارةٍ من يدِه وهو يقول: «يا أخي!. توكّلْ على اللهِ.. لن أقبلَ منك إيصالاً.. ولن أحتفظَ بأيِّ سند.. أمّا عن ثمنِ ما أخذت فلن نَختلفَ فيه، وسأقبلُ منك ما هو أقلُّ من أيِّ سعرٍ تجدُه بالسوق!.».

هكذا، نُقلت البضاعة إلى مكانِ التاجرِ غريب دونَ أن يدفعَ مالاً، أو يقدّمَ إيصالاً. وقد شاهدَ ذلك بعضُ التجّار من جيرانِ أمين، فتوجَّهوا إليه يُحذّرونه من مَغَبّةِ التعاملِ مع غريبٍ لِمَا يتمتّعُ به من سُمعةٍ سيئة، فقال لهم أمينٌ بحَزْم: «إنّ بعضَ الظنّ إثم.. لقد وعدَ باحضارِ المالِ بعدَ سوقِ الخميس.. وعَسَى أن يَبَرَّ بوعدِه، فتبطُلَ حُجَجُكم، وتتبدّدَ ظنونُكم..».

وقد حدَثَ!. ففي صباحِ الجُمعة، أقبلَ غريبٌ على متجرِ أمينٍ

مُسرعاً، ثم أخرجَ كيسَ نقودِه ووضعَه بين يديْ أمين وهو يقول: «خُذ من هذا حَقَّك كاملاً عن البضائِع التي أخذتُها منك.. ويبقَى لك بعدَ ذلك فضلُ الثِّقة بي.. الأمرُ الذي أعتزُّ به كثيراً..». وعندَما انصرفَ غريب، أمسكَ أمينٌ بالنقودِ التي أخذَها من غريب، ولوّحَ بها لجيرانِه من التّجار قائلاً: «أرأيتم؟.. ها هو قد جاءَ بنفسِه ودفَعَ ما عليه.. فلا سبيلَ لإساءة الظنِّ بالرجل».



ذات يوم، أقبلَ غريبٌ على متجرِ أمين وقال: «يا أخي.. أحتاجُ اليوم إلى قدر كبيرٍ من بضاعتِك..»، فقال له أمين: «ادخلْ وخُذ ما تُحبّ..»، فعادَ غريبٌ ليقول: «لكنني هذه المرّةَ أحتاجُ إلى أضعافِ ما آخذهُ كلَّ مرّة»، فابتسم أمين قائلاً: «عندَك مخازني خُذ منها ما تشاء..». أطرقَ غريبٌ مُتظاهراً بالخجلِ ثم قال: «هناك مسألةٌ أخرى يجبُ أن أتحدَّثَ فيها معك قبلَ أن أَحملَ شيئاً من هذه البضاعة»، سأل أمينٌ مندهشاً: «وما هي؟..». أجابَ

غريب: «لن أتمكّنَ من دفعِ الثمنِ هذه المرّة، إلّا في الشهرِ القادم!.».

رَبَّتَ التاجرُ أمين على كتفِ غريبٍ وهو يقول: «لا تحملْ همّا.. خُذ ما شئت من بَضائع.. وسأنتظِرُ السَّدادَ حتّى الشهرِ القادم». هَجَمَ غريبُ على أمين يعانقُه ويقبّلُه قائلاً: «هذه هي أخلاقُ التاجرِ الفَاضل.. وهذا الطبعُ الكريمُ هو الذي يُحبّبُ فيك الناسَ أجمعين.. ولكنْ بقِيَ لي طلبٌ أخير.. هو عندي أهمُّ من كلِّ ما طلبت».

اندهشَ أمينٌ وقال مُتسائلاً: «وما هو؟.. عسَى أن يُتيحَ لي الله تَلْبِيَته!.»، قال غريب: «أطمعُ في أن تُشرِّفني بمنزلي عندما أعودُ من سَفري.. تتناولُ معي الطَّعام، وتأخذُ مالَك الذي عِندي..». قالَ أمين مُحاولاً الاعتذارَ عن هذه الدّعوة: «كنت أودُّ أن أستجيبَ لهذه الدّعوة.. لكنَّ الأمرَ قد لا يَخْفَى عليك.. كما تَرى أقضي جميعَ وقتِي في متجرِي، وما بقيَ لي بعدَ ذلك أحرصُ على أن أقضيَه وَسْطَ أفرادِ عائلتي».

غيرَ أن غريباً عادَ يُلحُّ وهو يقول: «فليكن هذا استثناءً منَ الأمرِ الذي تَعوّدته، ولْتكن الدعوةُ في مساءِ الجمعةِ الأولِ من الشهرِ القادم.. فأنا أعلمُ أنّك تُغْلقُ متجرَك بعدَ صَلاةِ الجمعة.. سآخذُك من عائِلتك ساعةً أو



ساعتين، فلا تَحْرِمْني من فضلِ تشريفِك لدارِي . . ».

أخيراً، وبعدَ إلحاح غريب وتصميمِه، وافقَ أمينٌ على قبولِ الدّعوة، فعادَ غريبٌ يَحتضنُه ويقبّلُه قائلاً: «لك الشكرُ أيُّها الرجلُ الكريم. . لقد أضفتَ بهذا فضلاً إلى أفضالِك السابقة . . »، ثم استطردَ وهو يَنصرف: «أرجو ألَّا تَنسى . . موعدُنا مساءَ الجمعةِ الأولِ من الشهرِ القادم . . ».



في مساءِ الجمعةِ الأولِ من الشهرِ التالي، ارتدَى أمينٌ ملابسَه، وقالَ لأولادِه: «فَلْتسامحوني يا أولاد. . كنت أحبُّ أن أقضيَ مَعكم هذه الأمسيةَ كما تعوّدنا في كلِّ أسبوع. . لكنْ لا بدَّ لي اليومِ من الذهابِ إلى بيتِ التاجرِ غريب، الذي أصرَّ على أن أتناولَ طعامِي على مائدته هذا المساء».
فقال أصغرُ الأبناءِ ضَاحكاً: «بل أنت يا والدِي مسرورٌ بذلك. . فلا شكَّ في أنك ستجدُ على مائدة صاحبِك هذا ما لذَّ وطابَ من أصنافِ الطعامِ



والفَاكهة والحَلْوى. .»، فَضحكَ الجميعُ لقولِ الصغير، وودّعوا والدَهم حتّى باب الدّار.

عندَما وصلَ أمينٌ إلى دَار غريب، وجدَ الظّلامَ مُطْبقاً، لا يصدرُ الضوءُ من أيِّ نافذةٍ فيه. طرقَ بابَ البيتِ أكثرَ من مرّة، ولا مِنْ مُجيب. بدأ القلقُ يستولِي عليه، وأخذَ يتساءل: هل يا تُرى لحقَ به مَكروه. . وماذا يفعلُ حتَّى يطمئنَّ عليه؟. . عادَ إلى الطرقِ ثانيةً بشكلٍ أكثرَ قوّةً وإلحاحاً، فأطلَّت عليه جارة من البيتِ المُجاور، وسألت محتجّةً بصوتٍ غاضب: «ماذا تريدُ أيُّها الرجل؟. . ولماذا تَطْرُقُ هَكذا على بابِ الدارِ الخالية؟. .»، فسألَها بدورِه: «أليست هذه دارَ التاجرِ السيد غريب؟. .»، أجابت المرأة: «كانت هكذا منذ شَهرٍ مضى!.»، فعادَ يسألُها: «أهذَا يعني أنّه لم يعدْ بعد مِن رحلتِه؟. .»، أجابت المرأةُ بحدّة: «أيّ رحلة؟!. . أقولُ لك إنّه جمعَ ما لَه من أثاثٍ وأغراض، وهاجَرَ إلى المدينة الكبيرة!.».

جَمَدَ أمينٌ في مكانِه من فرطِ المُفاجأة. . هاجَر!. كيف؟!. ودعوةُ الطعامِ التي أصرَّ عليها؟!. والنقودُ التي وَعد بدفِعها ثمناً للبضائعِ الكثيرةِ التي حَملَها؟!!

بعد أن طالَ به التفكير، لم يجدْ مناصاً من العودةِ إلى بيتِه، وكان أثناءَ عودتِه تتنازعُه هذه الأفكار، لا يكادُ يصدّقُ ما قالته الجَارة. وصَلَ إلى دارِه مبكراً، فانـدهشَ الأولادُ لذلـك، وسألوه: «هكذا مُبكّـراً؟!. وأين الوَليمة؟..». أخبرهم بما حدَثَ، ونقلَ إليهم دهشتَه الشّديدة. فقال الابنُ الأصغرُ مُعابثاً في محاولةٍ للتخفيفِ عنه: «الآن عليك أنْ ترضَى باقتسامِ طعامِنا المتواضع.. ولْننسَ تلك الوليمةَ وصاحبَها!..».



في متجرِ أمين، تجمّع حولَه في صباحِ اليوم التالي جيرانُه من التّجار، يستمعون إلى تفاصيل ما حدثَ في مساءِ اليوم السابق. وعندَما انتهَى أمينٌ من روايتِه، قال أحد التجّار: «ألم نقلْ لك يا سيد أمين أنْ تحذرَ منه؟. ألم نعرّفْك بأخلاقِه السيئة وسُمعتِه المُشينة؟.. آن لك اليومَ أن تصدّقَنا.. أمَّا ما خَسِرته من مال.. فعوَضُك على اللهِ فيه!!».

قال أمينٌ في محاولةٍ أخيرة: «يا قومُ لا تَتعجّلوا في أحكامِكم.. رُبما

يكونُ قد سافر في تجارتِه، ثم أصابَه مرضٌ أقعدَه عن العودة إلى مدينتِنا. . »، فسأله التاجرُ: «ألم تقلْ لك الجارةُ إنّه قد هاجَر الى المدينةِ الكبيرة، وأخذَ معه أثاثَ بيتِه وجميعَ حاجاته؟ . . هل هذا شأنُ منْ يُسافرُ في تجارة؟ . لقد هَرب! . . ». فقال أمين متألِّما: «إذا كان قد هَرب. . فالأمرُ لله. . ما الذي أستطيعُ أن أفعلَه؟ . . عَوَضي على اللهِ فيما أخذَ من بضاعتي! . ».

هنا، تقدّمَ الشيخُ عبدُالله صديقهُ الذي كان يقفُ مُستمعاً إلى ما يدورُ من حديث، وقال له بحَماس: «لالا! . لا تيأسْ يا أخي أمين. . فأنا أعرفُ لهذا التاجرِ شقيقاً يُدعى عجيباً، وأستطيعُ أن أجدَ مَن يدّلني على داره. . غداً أعودُ إليك بالأنباءِ الصادقةِ عن ذلك الموضوع! . ».

في صباحِ اليومِ التالي، وصلَ الشيخَ عبدُالله الى متجرِ أمين، وجلسَ الى جانبِه ينقل إليه ما تجمّعَ لديه من أخبارِ التاجر الهاربِ غريب. فعلاً! . لقد باعَ جميعَ أثاثِ دارِه، وساقَ ما لَديه من ماشيةٍ مهاجراً إلى المدينة الكبيرة ، هَرَباً مما عليه من ديونٍ واجبةِ السَّداد . تساءلَ مندهشاً: «ولماذا فعلَ ذلك؟ . . وكيف يضحِّي بتجارتِه هنا؟ . . ». أجابَ الشيخُ



عبدُالله: «هذهِ قصّةٌ طويلة. . قصّةُ الخُلُقِ السّيء، وقصّةُ التطلّعِ لِمَا بين أيدِي الآخرين بلا حَقّ. . وما حَدَثَ عاقبةُ هذا جميعاً! . .».

أطرقَ أمينٌ صامتاً، ثم رفَعَ رأسَه وقال: «هَداه اللهُ الى الطريقِ المُستقيم. أمّا أنا فَعوضِي على الله. .»، فقاطعَه الشيخُ عبدُالله قائلاً «لا! . بل ستمضي مَعِي إلى المدينةِ الكَبيرة. . وأنا أعرفُ قاضِيَها فهو رجلٌ فاضلٌ لا يرضَى بغيرِ الحقِّ بديلا. . وهو يستطيعُ أن يستخلصَ لكَ حقَّك. .».

أرادَ أمينٌ أن يتراجع، وقد هالَه ما ينتظرُه من جُهد، السَّفر، والوقوفِ أمامَ القاضِي، والمُحاكمة. فاحتجَّ عليه باقي التجّار، وطلبوا منه أن يستجيبَ لرأي الشيخُ عبدِالله، وقال أحدُهم: «إذا تساهلت مع ذلك المدعوّ غريباً، وتَنازلت عن حقِّك، فهذا سيُلحقُ الضررَ بغيرِك من التجّار. لا بدَّ من تأديبه حتّى لا يعودَ إلى مثلِ هذا التصّرف. .». فقال أمينٌ آخرَالأمر: «وهو كذلك. . سأمضي مع الشيخِ عبدِالله الى المدينةِ الكبيرة. . ولكن قبلَ أن نرفعَ الأمرَ إلى القضاء، لا بدّ لي من أن ألتقيَ بغريبٍ لأعرفَ نيّتَه. . فربما أحبَّ ان يُصْلحَ خطأه. .».



كانت مفاجأةٌ كبرى لغريبٍ أن يرى أميناً واقفاً أمامَه على باب متجرِه الجديدِ الذي أقامَه في المدينةِ الكبيرة. ورغم أن أميناً قد تحدّثَ إليه بأدبٍ حديثا غاية في الرقّة واللطف، فقد ثارَ غريب، واتّهم أميناً بالادّعاء الباطلِ عليه.

هنا، لم يَتحمّلِ الشيخُ عبدُالله موقفَ غريب وكلماتِه القاسيةَ التي وجَّهها الى أمين، فتقدّم إلى الأَمام قائلاً: «اسمعْ يا رجل!.. إمّا أن تدفعَ ما عليكَ لهذا الرّجل، أو نرفعَ أمرَكَ إلى قاضي المدينة.. اخترْ لك واحدة!.». فقال غريبُ بغَضب: «ومن أنت حتّى تتكلّمَ فيما لا يَعْنيك؟!.». تدخّلَ أمين قائلاً: «هذا هو الشيخ عبدُالله من فُضلاءِ مدينتِنا.. له خبرةٌ واسعةٌ بالفقهِ والقانون، وقد جاءَ معي ليستخلصَ لي حقّي منك..».

تراجع غريبٌ عندَما سمع هذا، وقال لأمين بلهجةٍ ناعمة: «اعذُرْني يا أخِي. . لم أكن في وَعْيِي. . فأنا في ضائقةٍ مالية منذ أن قَدمت الى هذه المدينة. . تفضّلا واجْلسا. . »، جلسَ أمين حيث أشارَ غَريب، أمَّا الشيخُ عبدُالله فقد تردّدَ في هذا، ثم استجابَ لأمينٍ مضطّراً.

قال أمين: «لقد أتينا اليك لنتفاهم بالوُدِّ والحُسْنى. . فلماذا الغضبُ والثّورة؟. . وما ذنبُنا نحن إذا كنت تمرُّ بضائقةٍ أو مشكلة؟. . ». قال غريبُ متظاهراً بالألمِ الشّديد: «إنّي واللهِ خجلٌ منك يا سيد أمين. . فبعد أن أخذت منك البِضاعة، قمت برحلةٍ للتجارة، رأيتُ فيها الأَهوال، وخَسرت كلَّ الماشيةِ التي كانت معي. . لهذا لم أرجعْ من يومِها الى داري. . »، فقاطعه الشيخُ عبدُالله قائلاً: «الذي يخرجُ في رحلةٍ تجاريةٍ يا سيد غريب. . هل يبيعُ أثاثَ بيتِه، ويأخذُ معه كلَّ ما له بالمدينة؟. . ». تلعثَم غريبُ ولم يستطعْ أن يُجيب.

قال أمين وقد تبيَّن مُراوغَة غريب، وتأكّدَ من خِداعه: «هذا هو حالُ مَن يريدُ أن يهجرَ المدينةَ إلى الأبد! . »، فتدخّلَ الشيخُ عبدُالله قائلاً بحسم: «يا سيّد غريب، أريدُ إجابةً محدّدةً واضحة. . هل أنت مستعدٌّ لدفعِ ما


الله نور
السموات
العدل
أساس
الملك

عليك للسيدِ أمين؟ . . »، أجاب غريبٌ مُراوغاً: «طبعاً! . طبعاً! . فقط اصْبرُوا عليّ، إن أحوالي هذه الأيامَ لا تَسمح . . »، فقاطعَه الشيخُ عبدُالله قائلاً: «إذاً . . فلتكتب إيصالاً بالبضائع التي أخذتها من السيدِ أمين . . وتحدّدْ موعداً للسّداد! . ».

شعَرَ غريبٌ بأنّ الحَلْقةَ تَضيقُ من حوله، وأيقنَ أنّه سيتورّطُ بكتابةِ مثلِ ذلك الإيصال، فثارَ وهاج، وصاحَ قائلاً: «ما هذا! . هل أنا لِصّ؟! . لن أكتبَ شيئاً! . ولن أدفعَ شيئاً بهذه الطريقة! . أنا لا أقبلُ التهديدَ والوَعيد! . هيّا امضيَا من هنا! . . ليس لكما شيءٌ عندِي . . لا بضائع ولا مال! . »، تعالَى صُراخُ غريب، فتجمّع الناسُ يُتابعون ما يجري، وانصرفَ أمينٌ مع صديقِه في هُدوء، بينما واصلَ غريبٌ ثورته، وهو يشعُرُ بالسعادةِ في قرارةِ نفسِه لانصرافِ أمين وصاحبِه وهو يعتقدُ أنّهما قد خافا من ثورتِه، وعادَا من حيثُ أتيَا يائسَيْنْ.

أمامَ القاضِي، وبعدَ شهادةِ الشهود، اعترفَ غريبٌ بما فَعل، لكنّه قال: «ليس لديّ الآن مالٌ أدفعُه للتاجرِ أمين . . فلْيُمْهلْني حتّى أردَّ له مالَه . . »، قال القاضِي: «بل تدفع له من بِضاعتِك، ما يساوي البضاعةَ التي

أخذتها منه . . » .

وكان نتيجَةَ هذا، أن عادَ التـاجرُ أمين مـع الشيخِ عبـدِالله الى مدينتهما، وهما يجرّان خلفَهمَا بقرةً سمينةً جاءَ بها الجنُد من حـظيرة غريب، ورأى القاضِي أنّها تُعوّضُ أميناً عما أخذه غَريب. ضَحك أمينٌ وهو يقول للشيخِ عبدِالله: «ماذا سأفعلُ بهذه البقرة؟ . . هذه مشكلةٌ جديدة! . » ، قال الشيخُ عبدُالله: «ليست هناك مُشكلة . . احفظها اليومَ في ساحةِ بيتِك، وغداً تبيعُها في السوق . . المهمُّ أَننا اسْتَخْلَصْنا حقَّك من ذلك التاجرِ اللئيم . . » .

في ذلك الوقت، كان غريبٌ يجلسُ مع أحدِ أصدقائه من اللّصوص، يُحرّضُه على سرقةِ البقرةِ من أمين. سألَه اللّص: «وماذا تستفيدُ أنت من هذا؟ . . » ، قال غريبٌ وقد ظهرَ عليه الغيظُ الشديد: «لأنتقمَ منه! ! ولأُفْسِدَ عليه لَذّةَ انتصارِه عليَّ! . » ، قال اللّص: «لكنّ الطريقَ الذي يسلكُهُ الرجلُ مع البقرةِ يحرسُه الجندُ الذين ينتشرون على امتدادِه . . » . فقال غريب: «أنت لن تقتربَ منه أثناءَ قطعِه للطريق . . فقط تتبعُه عن بُعدٍ حتّى تعرفَ مكانَ بيتِه . . وعندما يحلُّ الليلُ، تستطيعُ أن تأخذَ البقرةَ وتمضِيَ بها دونَ أن

يشعُرَ بك أحد. فهو سيكونُ غارقاً في النومِ من أثرِ الجُهدِ الذي بَذَله في السّفر..».

تردَّدَ اللصُّ قليلاً، ثم سأل: «وماذا أفعلُ ذا كان قد وَضعَ البقرةَ في حَظيرةِ بهائمِه وأغلقَ عليها؟!»، فقاطعَه غريبٌ قائلاً: «ليست لديه حظيرةُ بهائِم، وهو في الأغلبِ سيتركُ البقرةَ في ساحةِ البيتِ حتّى الصباح..».

اقتنعَ اللصُّ بقولِ غريب، وركبَ حصانَه يسرعُ خلفَ أمينٍ في الطريقِ الذي سَلَكَه، وعندما لاحَ له عن بُعدٍ موكبُ أمين وصاحبِه والبقرةُ من خلفِهما، أبطأ في سيرِه، حريصاً على أن يجعلَ بينَه وبينَهم مسافةً كافية، حتّى لا ينتبهَ أحدٌ مِنهما الى أنه يلاحقُهما.

بعدَ قليل، ظهرَ من بينِ الأشجارِ التي على جانبِ الطريقِ رجلٌ يَمتطي حصاناً. ظَنَّه اللصُّ في أولِ الأمرِ أحدَ الجنود، فأبطأ في سيرِه، حتى ينصرفَ الجنديُّ مبتعداً. لكنّه اكتشفَ بعدَ قليلٍ أن الرجلَ يتبعُ قافلةَ أمين، ويحرصُ في نفسِ الوقتِ على ألّا يلاحظَ ذلك أحد، فشكَّ في أمرِه. اقتربَ منه يريدُ أن يتبيَّنَ حقيقتَه، وعندَما أصبح يسيرُ بجوارِه، اكتشفَ فيه زَميلاً له من اللصوص، كانا قد اشتركا معاً في العديدِ من السّرقات، واشتُهر

بين اللصوصِ باسم «السفَّاح»، لأنه لم يكنْ يتورّعُ عن القتلِ إذا قامت أمامَ رغبتِه في السرقَةِ عَقَبَةٌ من العَقَبات.

تبادلَ اللصُّ والسفّاحَ التّحيات، سألَ السّفّاح: «إلى أين تَمضِي يا رجل؟.. وهل خَلَتِ المدينةُ مما يستحقُّ السرقة، حتّى تخرجَ منها مهاجراً؟..». أجاب اللصّ: «لم أهجُرْ مدينتي، والخيرُ فيها كثير، لكنّي أتْبَعُ هذا التاجرَ الذي يَبدُو عن بُعد..». دفعَ السفّاحُ حصانَه، فاعترضَ طريقَ اللصِّ وهو يقول بغضب: «مالَك أنت وهذا التّاجر؟. إنّه بُغيتي ومَقْصِدِي!. أسعَى خلفَه لأعرفَ موقعَ بيته، حتّى أهاجمَه مساءَ اليومِ وأستولي على أمواله.. لقد أخبرني صديقٌ أنه يحتفظُ داخلَ بيتِه بكنزٍ ثمينٍ من الأموالِ والجَواهر. لقد عَزَمت على الاستيلاء على هذا الكنْز، ولن يقف أحدٌ في سبيلِ عزمي هذا!..».

قال اللصُّ: «اطمئنَّ يا سفّاح.. فأنَا لا أسعَى الى مالِه أو جواهره، فَغايةُ قصدِي هو أن أستوليَ على البقرةِ التي تراهُ يسحبُها خلفَه.. إنّها بقرةُ التاجرِ غَريب، انتزعَها منه هذا التاجرُ بأمر القاضي، ويريدُ أنْ يَحْرِمَه منها..».

ظَهرت الدهشةُ على السّفاحِ وقال: «هذه مصادفةٌ غريبة!. فالتاجرُ غريب هو الذي أغراني بسرقةِ هذا التّاجر..»، وصَمَت مفكّراً، ثم استطردَ قائلاً: «لا بدّ أن غريباً يحملُ لذلك التاجرِ كَراهيةً عَميقة.. لكنّي لا أفهمُ اهتمامَه بسرقةِ بقرة، بينما أنا سأسرقُ كلَّ أموالِه ومجوهراته!. إنّي أتعجّب لتصرفاتِ غريبٍ هذا!.»، فقال اللصّ: «ألم أقلْ لك إنّ البقرةَ تَخُصُّه، وإنّها انتُزعت منه انتزاعاً..».

طَالَ بهما الجدَل، ورَغمَ أنّهما اتّفقا في النهايةِ على أنّ كلَّ واحدٍ منهما له غرضُه الذي لا يصطدمُ بغرضِ الآخر، فقد بقيَ الشكُّ غالباً عَليهما، يتوقّعُ كلٌّ منهما الخديعةَ من زمِيله. ظَلَّا يَتْبعان موكبَ أمينٍ حتّى وصلَ الى بيتِه، فَراحا يَدْرُسان مداخلَ البيتِ ومخارجَه، ثم اخْتفيا عن الأنظار، ترقُّباً لهبوطِ الظلام.

عندَما وصلَ أمينُ الى بيتِه، صاحَ أولادُه وهلَّلوا عندما رَأَوا البقرةَ التي أحضرَها معه من سفرِه، وتلاحَقت أسئلتُهم «بقرةُ من هذه؟!.»، «هل سنذبحُها اليومَ أم سنُبْقيها حتّى عيدِ الأضحى؟!!»، «أين سنضعُ البَقرة.. هل يُمكن أن نأخذَها الى حُجرةِ نومِنا؟..». قصَّ عليهم أمين قصةَ البقرةِ

كاملة، ثم قال لهم في النهايةِ: «سنربِطُها في الساحةِ الخارجيةِ للبيتِ حتّى الصّباح. . وغداً يحضُرُ الى هنا صديقي الشيخُ عبدُالله، لنتعاونَ معاً على بيعِها. . والآن، هيّا إلى الدّاخل، واتركوا البقرةَ وشأنَها. . أنا مُتْعَبٌ وأريدُ أن أنامَ نوماً عميقاً، أعوّضُ به تَعَبَ الرِّحلةِ الشاقـةِ التي عانَيت منهـا الكثير. . ».

بعدَ انتصافِ الليل، كان السفّاحُ واللصُّ يَدورانَ حولَ البيت، ليختارَا الموقعَ الأنسبَ للهجومِ على المال والبقرة. قال اللّص: «الرأيُ عندي يا صديقي أن أدخلَ أنا أوّلاً الى ساحةِ البيتِ في هدوء، فآخذَ البَقرة، وأمضي بها. . ثم تبدأ أنت بعد ذلك اقتحامَك للبيت. . »، قال السفّاحُ مُعترضاً: «بل أنا أدخلُ أولاً، فأستولي على المال، وإذا أرادَ التاجرُ مُقاومتي قتلته، وهكذا يمكنُك أنت أن تدخلَ وتأخذَ البقرةَ دون خوفٍ من أحد. . فأنا أخشى اذا أنت دَخلت لتأخذَ البقرَةَ أولاً، أن تُصْدِرَ البقرة أصواتاً تُوقظُ أهل البيت، فتفشل مُهمّتي. . ».

قال اللصُّ غاضباً: «وهل تعتقدُ أنَّك ستقتحمُ البيت وتقتلَ الرجلَ وتأخذَ المالَ ثم تمضي دونَ أن يشعر بك أحد، مع وجودِ هذا الحشْدِ من


النوم سلطان

الأولادِ الذي يمتلىءُ به البيت؟. . لا!. . سأدخلُ أنَا في البداية. . الأمرُ مَعِي لن يستغرقَ دقائق معدودة، أمضِي بعدَها بالبقرة. . ». قال السفّاحُ ثائراً وهو يضعُ كفيّه حولَ رقبةِ اللص: «عندك أيها المخادع!. . الآن فقط عَرَفت غَرَضَك. . تريدُ أن تسبقَني الى الاستيلاءِ على المال، وما قصّةُ البقرةِ هذه سوى ستارٍ تُخفْي خلفَه نِيّتَك الحقيقية. . ».

شعرَ اللصُّ أنه يختنق، فصرخَ صَرخةً عالية، وضربَ وجهَ السفَّاحِ بقبضةِ يده، فأصابته في عينِه. صرخَ السفّاحُ وهو يُفْلتُ رقَبَةَ اللصّ، واضعاً كفَّه على عينِه. ودون أن يدْريا، تعالَى صياحُهما، واشتدَّ عِراكُهما، فاستيقظَ أهلُ البيت، وما حوله من بيوت. . وأقبلَ الجندُ من بعيد، ووقفَ الجميعُ يَرقُبون السفّاحَ واللصَّ وهما يتدحرجان على الأرضِ في عِراكٍ شَرس. . وعندَما توقّفا عن العِراكِ ليلتقطَا أنفاسَهما، اكتشفا أنّهما مُحاطان بالجند من كل ناحية، فاستسلما في هدوء!. .

قام الجنودُ بوضعِ القيودِ في أيديهما، وساقَهما قائدُ الجندِ الى مركزِ الشرطةِ وهو يقول: «على رأي المثل. . إذا اختلفَ اللّصّان ظهرَ المَسروق!. لكن الحمدُلله أننا تداركْنا الأمرَ هذه المرّة قَبلَ أن تَحْدُثَ السَّرِقة. . ».


٣١

عندما ذهبَ أمينُ في صباحِ اليوم التالي الى القاضِي، ليُدلِي بشهاتِه ضدَّ السفّاحِ واللّص، كانت دهشتُه كبيرةً عندما رأى غريباً يقفُ بين السفّاحِ واللّص، فوقفَ مُتَسمِّراً في مكانه عند مدخلِ القَاعة. قالَ القاضِي «ادخلْ. . ادخلْ يا سيد أمين!. لا تندهش، فقد اعترفَ الجَميع، وقالوا إنّ غريباً هو الذي حَرَّضَهم عليك انتقاماً منك!!».

تقدّم أمين، وهو ما يزالُ ينظرُ الى غريبٍ باندهاش، ثم سألَ القاضِي: «ولكن يا سيدي القاضِي لماذا يحقِدُ غريبُ عليّ؟. . لقد أكرمتُه كثيراً، وأعطيته ما يريدُ من البضائع، دونَ أن أشترط قَبْضَ ثمنِها في الحال. . والبقرةُ التي حَكَم لي بها القاضي، لم تكن أكثرَ من حقّي عنده. . فهل يصلُ به الحقدُ إلى حدِّ السّعيِ الى قتلي؟!. . لماذا؟!!».

ابتسمَ القاضِي وهو يقول: «ألم تسمعْ قولَ من قال. . إذا أنت أَكرمت اللئيم تمرّدا؟. . الحمدُ لله أنّك نَجوت من شرِّهم. .».

